فكاهات

الميت الحي (١)

حدث بعض ساكني باريس عن نفسهِ قال

جئت هذه العاصمة العظيمة الغنية منذ خمس عشرة سنة وقد ارسلني اليها والدي لتلقي فن المحاماة فدهشت من البدائع والتحف التي رأيتها فيها وحرت في انواع الترف وضروب اللهو التي لا يخلو منها شارع كبير ولا صغير فصرفت اياماً في التجوّل في جميع انحآء العاصمة لتعرُّف طرقها واختبار عوائد اهلها وطبائعهم قبل دخولي المدرسة حتى اذا ابتدأت في درس المهنة التي عزمت على اتخاذها لكسب رزقي عكفت على المطالعة والدرس واعتزلت جميع الملاهي ولم اكن اخرج للنزهة الاّ في الايام التي تقفل فيها المدرسة ابوابها . وكانت السنة الاولى صعبة جدًّا عليَّ في دروسها الجديدة ولا سيما لما وجدت من ثقل القوانين المدرسية حتى اني فكرت مرارًا في الرجوع عن عزمي والعودة الى والديَّ لولا ما كان يتخالج في صدري من حب التقدم والاستقلال في العمل وخصوصاً ان والدي لم يكن من ذوي الثروة وانهُ يوفّر من احتياجاتهِ الخصوصية لينفق عليَّ . وكان هذا الفكر الاخير ضربة قاضية على اهمالي وتكاسلي فانصببت بكليتي على الكد والاجتهاد ومضت الستة الاشهر الاولى فلم اضيع منها دقيقة واحدة وجآء موعد الامتحان لمنتصف السنة فدفعني الشوق للحصول على احسن شهادة ارضآءً لوالدي فقضيت نحو اربعة ايام لم اخرج فيها من غرفتي قط وما اتيت على آخرها في ليل اليوم الرابع حتى شعرت وانا مكبٌّ فوق كتبي بدوارٍ في رأسي وخفقان في قلبي فضاق تنفسي وكان العرق البارد يتحلب من وجهي فخشيت عاقبة ذلك وكان قد قارب الليل ان ينتصف فتركت الكتب والاوراق كما كانت واسرعت

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

من الغرفة فخرجت الى الشارع . وهب الهواء البارد فانعش صدري الملتهب وسررت به فشعرت بلذة فائقة وسرت كما تنودني قدماي على غير هداية ولا انتباه فمررت بشوارع لم يخطر لي قط المسير فيها وابتعدت مسافة ليست بقليلة عن محل اقامتي وانا اظن انني لم ابتعد عنهُ سوى بضع خطوات . وكان هدوء الليل وسكون الحركة يحببان اليّ المشي فبقيت سائرًا الى ان قرع اذنيَّ صوت همسٍ كان يتخللهُ بعض كلماتٍ متقطعة بصوتٍ اجشّ تدل على صيغة زجر وصوت بكاء يدل ان صاحبهُ لم يتجاوز سن الطفولية . فما كدت اسمع ذلك حتى شعرت ان رأسي قد فرغ من الافكار السابقة التي كانت تشغلهُ ودبّ في جسدي نشاطٌ عظيم وقوةٌ غريبة فأصغيت لعلي افهم شيئًا مما يدور في ذلك الزقاق المظلم . وكنت قد قرأت كثيرًا عن مكنونات باريس واعمالها الليلية وتأكدت ان وجودي وحدي بالقرب من اولئك الاشخاص مهما كانوا لا يخلو من خطر ورأيت عند اول الزقاق الذي جاء منهُ الصوت شبه سرداب يُدخل منهُ الى بيتٍ حقير فانزويت الى جانبهِ وكدت امنع تنفسي لئلا يعوقني عن سماع ما يجري . وبعد ما تربصت قليلاً سمعت احد المتسترين بذلك الظلام يقول اظنني سمعت وقع اقدام من جهة الشارع الكبير . فقال الثاني لا تخشَ بأسًا يا هذا فان الذي يسوقهُ سوء بختهِ الى القدوم الينا في مثل هذا الوقت لهُ في هذا الخنجر ما يضمن لنا منهُ كتمان السر الى الابد . فقال الثالث اجل ولكن الاحتراس اولى فاذهب يا فرنسوا وانظر هل في الشارع احد وعد الينا بالخبر اليقين . فانفرد عنهم الذي دعي بهذا الاسم وسار متجسسًا كما يسير الخيال في النوم فمرّ بجانبي وعجبت كيف لم تنبههُ ضربات قلبي الى محل وجودي وما زال سائرًا حتى بلغ الشارع الكبير ثم عاد اليهم فطمأنهم ورجعوا الى حديثهم . فقال صاحب الصوت الاجش أليس في امكانكم تسكيت هذه الملعونة فاني لا اطيق سماع صوتها . وظهر لي ان احدهم سدَّ فم الطفلة فلم اعد اسمع منها شيئًا . ثم عاد الزعيم الى كلامهِ فقال قد انتهينا من الاتفاق الاول و بقي عليّ ان اطلعكم على مشيئتي فان ثروة اسرتنا محصورة في شخص عمي وذلك بفضل الشريعة التي وضعها اكبر مجانين المملكة الذين

قضوا بأن الغني الشريف لا يورّث من بنيهِ الاّ اكبرهم ليحافظ على القيام باسم الاسرة ووجاهتها فكان ينتقل المال الكثير من عقبٍ الى عقب في اعضآء اسرتنا فينال حظهُ منهُ الابن الاكبر تاركاً اخوتهُ في الحاجة الشديدة وبعض الاحيان في الفقر المدقع . وكان لجدي ولدان فقط وقد آلت اليهِ جميع اموال الاسرة وكنوزها فعمل بالشريعة المذكورة وأوصى بها لعمي الذي هو ابنهُ الاكبر تاركاً والدي لا يملك شروى نقير . وكان عمي يودّ من حين الى آخر ان يساعدنا ببعض المال فلم اسمح لوالدي بقبولهِ لانني أبيتُ ان يُتصدَّق علينا من اموالنا

فهتف الجميع حسناً فعلت ايها الامير . وعاد الامير الى تتمة حديثهِ فقال . ولم يزل عمي يزداد غنى ولم نزل نحن في تأخرٍ حتى توفي والداي من شدة الحزن وتوالي الهموم وبقيت انا لسوء الحظ ولكنني لا آسف الآن لبقآئي حيًّا وقد اضآء امامي نورٌ اظنهُ يهديني الى ما يعوض عليَّ الحياة المرة الماضية . فان امرأة عمي ولدت لهُ ابنة منذ عامين وتوفيت على اثر ولادتها وبذل عمي جهدهُ في الاعتنآء بالطفلة فلم تمت وبقيت حية الى الآن . ولعلمي ان الميراث لا يكون للاناث أمّلتُ ان يعود المال اليّ بعد وفاة عمي ولكنهُ مرض منذ بضعة اشهر المرض الذي توفي بهِ وكأنهُ شعر بدنو اجلهِ فكتب وصاتهُ وسجلها في الحكومة وقد كتب فيها انهُ ان ماتت ابنتهُ اكون انا الوارث والاّ بقيت هي الوارثة الوحيدة بشرط انها تتزوج رجلاً من مقامها ويتخذ هو اسم اسرتنا عوضاً عن ان تتخذ هي اسمهُ

فصاح واحد يا لهُ من غاشم دنيٍّ أيفضّل ان ترثهُ الغرباآء ولا يرث ابنآء اسرتهِ حقهم الواضح . فقال الامير وهذا ما اضطرّني ان ادعوكم الآن فان ابنة عمي هذه الطفلة التي بين ايديكم كما ترونها متمتعة بكمال الصحة ولا يخاف عليها سوء فان هذا الجنس طويل العمر لا يقوى الموت عليهِ بسهولة ولم أرَ من العدل ان تصبح اموال اسرتنا المحفوظة لنا من القرون السالفة غنيمة باردة لغريبٍ عنا يرضى بالتنازل عن اسمهِ والتكني باسم اسرتنا فيكون قد غنم مالنا وشاطرنا شرف اسمنا . وبعد اعمال الفكرة رأيت ان اخفي هذه الطفلة قبل ادراكها الخير والشر وانقلها الى حيث

لا يعلم بها احدولا تصل اليها يد واذا ثبت امر فقدها طالبت بحقوقي وحصلت على ما حُرمهُ آبائي من قبلي وما كدت أُحرمهُ انا بسبب التقاعد والاهمال . وقد ادرك خادمي الامين فرنسوا غايتي فذهب الليلة متسترًا الى بيت عمي وانتشل الطفلة من سريرها بدون ان يشعر بهِ احد وجآء بها الى هنا . فما رأيكم ايها الشجعان فانني قد اعتمدت عليكم واحببت ان استشيركم قبل الاقدام على هذا العمل فاذا رأيتموهُ موافقًا اتممتهُ والاعدت عنهُ عن طيبة خاطر . ثم صمت الامير المتكلم

فارتفعت ضجة خفيفة تدل على الاستحسان العـام ثم قال احدهم لا شك انك فعلت ما يجب فعلهُ ايها الامير وانني بالنيابة عن رفاقي اوافق على تدبيرك واقول انهُ عين الحكمة والصواب . فقال آخر وهل يجوز يا مولاي ان طفلة صغيرة كهذه تقف في سبيل سعادتك . اسمح لي ان اطوق عنقهـا باصبعيّ هاتين دقيقة واحدة فقط فتصبح كأنها لم تكن ثم نلقيها في نهر السين وهو غير بعيد من هنا فتخفي اسماكهُ خبرها قبل بزوغ شمس الصباح

فقال الامير كلا يا صاح ان القتـل حرام وانهُ لعار علينا ان نجتمع هنا خمسة اشخاص لقتل فتاةٍ لم تتم سنتين من عمرها . فقال واحد منهم وكان لم يتكلم قبلاً . اتركوا لي تدبير الامر فعندي لهُ الدوآء الوحيد الذي لا ينفع سواهُ . فقال الامير وما هو . قال لي ابنة صغيرة غير شرعية حاولت ان اتخلص منها منذ ولادتها فمنعتني امها وهي من عمر هذه الطفـلة تقريباً وقد ماتت اليوم فيمكننا ان نأتي بجثتها حالاً ونلبسها ملابس هذه الطفلة ونعيدها الى سريرها فاذا اصبح الصباح ووجدوها ميتة لا يداخلهم ريبٌ في انها نفس ابنة عمك ويحتفلون بدفنها وتكون انت اول السائرين ورآء نعشها فتعود من مدفن الاسرة توًّا لاستلام الامارة وما تطمح اليهِ نفسك

فارتفعت من الجميع اصوات الاعجاب والسرور و بعد مفاوضة جدّية قصيرة أُمر الرجل فذهب يسابق الرياح وما غاب كثيرًا حتى عاد بالطفلة الميتة فأبدلوا ثيابهـا بثياب ابنة عمّ الامير وسلموها الى فرنسوا ليرجعها الى السرير الذي انتشل الطفلة

الحية منهُ . فقال الامير وماذا نفعل بهذه اذاً . فقال الرجل الذي ابدل ابنتهُ بها آخذها انا الى بيتي عوضاً عن تلك فلا يعلم بها احد ومتى عجزت عن الاعتناء بها أو سئمت من معاشرة الاطفال آخذها الى دير للراهبات أو الى محل آخر فلا تخف عليها يا مولاي . فقهقه الامير ضاحكاً مسروراً وقال اذاً قد انتهى اجتماعنا هذا على افضل ما يرام فلينصرف كلٌّ الى مكانهِ بسلام وفي نفس اليوم الذي يبلغكم فيهِ خبر حصولي على تركة عمي وامتلاكي زمام اعماله واملاكه واوراقه تعالوا جميعكم لمقابلتي في مثل هذه الساعة في هذا المكان فقد نذرت على نفسي من الآن ان اهبكم خمسين الفاً من الفرنكات جزاء اخلاصكم لي ونصحكم في خدمة الحق . فصاحوا جميعهم ليحيَ اميرنا الكريم وأنالك الله مبتغاك . ثم دار بينهم التوديع فذهب كلٌّ لشأنهِ وذهب فرنسوا بالجثة لارجاعها بدل الطفلة الحية ومرّ الرجل الحامل الطفلة الاميرة بجانبي وما بلغ طرف الشارع حتى وقع نور المصباح على وجههِ فتبينتهُ جيداً وارتسمت هيئتهُ على مخيلتي فلا انسى صورتهُ ما حييت

وعادت تلك القعة الى سكونها العميق فلبثت هنيهةً ثم خرجت من مخبإي وعدت من حيث اتيت فبلغت غرفتي ولم استطع رقاداً فأحييت بقية الليل مفكراً في تلك الرواية متعجباً مما جرى واصابتني من شدة التأثر حمى خفيفة لازمتني طول النهار التالي . وفي المساء حدثتني نفسي ان اطالع اخبار العاصمة فابتعت جريدة واول ما وقع نظري عليهِ علامة سوداء قرأت تحتها ما يأتي

توفيت في هذا الصباح الاميرة ارنستين لونفيل في السنة الثانية من عمرها وهي ابنة الامير موريس لونفيل ووارثتهُ الوحيدة وقد انتقل ارث هذه الاسرة برمتهِ بعد وفاتها الى ابن عمها الفتى جواني لونفيل

فشعرت بحزنٍ عميق في نفسي على تلك الطفلة المسكينة البريئة المظلومة وارتعشت اعضائي وسقطت الجريدة من يدي فلم اشأ ان ألتقطها وكان ضميري يحاربني على سكوتي عن هذه الحادثة وجعلت اناجي نفسي عما اذا كان العدل يعدّني شريكاً لاولئك السفلة . غير ان اقتراب موعد الامتحان انساني كل ذلك فعدت الى دروسي

وجزت الامتحان فبعثت بالشهادة التي نلتها الى والدي وكان سروري بنفسي و بالتنشيط والفرح اللذين ابداهما لي والدي يقوّي عزمي على متابعة اجتهادي فعدت الى ما كنت عليهِ قبل حصول هذه الوقائع وكان امرها كأنهُ لم يكن

ومضت عليَّ خمس سنوات اتممت فيها جميع الدروس المختصة بفن المحاماة ونلت الشهادة العليا وشهادة الامتياز في جميع فروع المدرسة . وعرض عليَّ اساتذتي ان اعلّم في نفس المدرسة ساعةً من وقتي واشاروا عليَّ ان اتعاطى هذا الفن في نفس باريس ففعلت كما اشاروا وكُتب لي التوفيق فاشتهر اسمي وزاد دخلي اكثر مما كنت اظن فلم البث ان استحضرت والدي ووالدتي الى باريس فسكنا معي واقمنا بفضلهِ تعالى في اتم نعيم وارغد عيش . وكنت كثيرًا ما التقي بالامير حواني لونفيل في مركبتهِ الجميلة تجرها جياد الخيل وهو يتنعم بالملذات و يسرف في النفقات متبعاً التهتك والطيش فكنت اذا وقعت عيني عليهِ يرتد بصري عنهُ كأن مسلةً اصابت حدقة عيني . وكان قد اقام على املاكهِ وكيلاً حكيماً عرف كيف يدبر تلك الحوزة الواسعة فكانت الثروة تتضاعف بين يديهِ رغماً عن طيش الامير الفتى،وشدة اسرافهِ

ومضت بعد ذلك سنوات عديدة فتناسيت امر الامير والاميرة وسدل الدهر على تلك الحادثة ستار النسيان فلم نعد تخطر لي في بال الى هذه السنة منذ بضعة ايام فقط . وذلك انني كنت يوماً في مكتبي غارقاً بين اوراق الدعاوي العديدة التي في عهدتي لا ر بابها واذا بخادم المحل قد دخل واخبرني ان رجلاً في الباب يروم مواجهتي للاستشارة في قضية عظيمة الاهمية فقلت لهُ انني في شغلٍ شاغل الآن فلا يمكنني مواجهة احد . واذا بباب الغرفة قد فتح وسمعت صوت متذللٍ يقول اتوسل اليك يا مولاي ان لا تبخل عليَّ بمواجهتك فان قضيتي مهمة للغاية تتوقف عليها حياة بريء وقد جئتك واثقاً انهُ لا يوجد سواك لتخليصي من تهمة فظيعة ستودي بحياتي ظلماً وعدواناً . فنظرت الى المتكلم وحالما وقع نظري عليهِ مرت سحابة كثيفة امام عيني وانقشعت بغتةً فتذكرت صورة الرجل وعرفتهُ انهُ هو نفس الشخص الذي رأيتهُ في تلك الليلة المشؤومة حاملاً الطفلة الاميرة لاخفائها وانفتح امامي سفر تذكار

الماضي فدفعني الاستغراب الى مقابلة الرجل لعليّ اقف على خبر تلك الفتاة السيئة الحظ . فتركت اوراقي جانباً ونسيت ما انا فيهِ من العمل وسمحت للرجل بالدخول فجلست واياهُ الى جانب الغرفة وامرت الخادم بالخروج . واستأنس الرجل فجعل يتلو عليّ حديثهُ بلهفةٍ شديدة فقال . انني يا مولاي فتًى فقدتُ والديَّ صغيرًا فكنت اتردد الى حانةٍ اخدم فيها واحصل قوتي فلم ارَ ولم اعاشر الا جماعة من المقامرين واللصوص الذين كانوا يترددن الى تلك الحانة وما شببت حتى وجدت نفسي رفيقًا لهم في سطواتهم واعمالهم الليلية المنكرة واصبحت ادهاهم واكثرهم شرورًا ولم ازل على هذه الحالة الى امدٍ غير بعيد . ويظهر ان الله شفق على حياتي فهداني يومًا وندمت على مسلكي السابق فتبت توبةً حقيقية واقلعت عن شروري السالفة واجتهدت ان اعوض في ما بقي من حياتي عما جنيتهُ في ماضيَّ واعلمت رفاقي انني انفصلت عنهم وانهم لا يرجون مني مساعدة بعد . فاستشاطوا غيظًا واجتهدوا كثيرًا في تحويلي عن عزمي فلم يفلحوا ولما رأوا اصراري خافوا ان ابوح للحكومة باسمآئهم فصمموا على اهلاكي . وكان من امرهم انهم سلبوا رجلاً منذ يومين ثم قتلوهُ واحضروا جثتهُ فرموها امام باب منزلي ولما وُجدت الجثة اتُّهمتُ بالجناية وما هي الا دسيسة كادها لي أولئك اللصوص ليحكم عليَّ بالموت فيأمنوا جانبي . ولثقتي بمقدرتك العظيمة يا مولاي جئتك راجيًا ان تأخذ بيدي وتنقذني من هذه التهلكة واعلم ان لديَّ من المال شيئًا كثيرًا فلا يذهب تعبك سدًى

وكان الرجل يتكلم باضطراب شديد وهو يتلفت الى ناحية الباب كانهُ يتوقع دخول الشرطة بغتةً لالقآء القبض عليهِ . فتبسمت اليهِ وقلت لا تخف يا هذا فانا اعدك بمساعدتي ولكنني لا اقبل شيئًا من اموالك التي جمعتها كما اعترفت من السلب واللصوصية وانما اشترط عليك شيئًا واحدًا وهو ان تعلمني بما جرى للاميرة ارنستين لونفيل التي ابدلتها بابنتك المائتة في تلك الليلة الدهمآء . فارتعش الرجل كمن لدغتهُ عقرب ثم حنى رأسهُ على صدرهِ وانحدرت دمعةٌ من عينيهِ مسحها براحتهِ وقال آه ما اشقاني فانني مع ندمي على شروري واجتهادي في التكفير عن الماضي لا ادري

كيف لم يخطر لي الافتكار في تلك المسكينة وكيف لم اهتم بانقاذها . فقلت لهُ اسرع وأجبني احيةٌ هي وهل هي في حالة مرضية . قال انها حية ترزق يا مولاي وفي امن من الجوع والحاجة واما آدابها وسيرتها فالذي يبلغني عنها انها لا عيب فيها . فقلت لهُ اخبرني عما تعلمهُ من امرها وماذا فعلت بها . فقال اخذتها الى بيتي وكنت اعتني بها وجعلتها واسطة لاستدرار المال من الامير جواني لونفيل الى ان بلغت العاشرة من عمرها فاخذتها الى حوقةٍ من ممثلي الروايات و بذلت جهدي فقبلوها للتشخيص وما مضى عليها امدٌ طويل حتى بان جمالها الساحر فتورد خداها و برز نهداها ومُشقت قامتها فطار صيتها في عالم التمثيل واكتسبت الجوقة شهرة واسعة بسببها وهي لا تعلم شيئاً من ماضي حياتها وأسرتها ثم ما لبثت ان اصبحت كبقية اللواتي يتعاطين هذه الحرفة مقصدًا للفتيان المسرفين تسامرهم وتسايرهم ويقدمون لها الجواهر والنفائس جرآء نظرة واحدة ترمقهم بها وهي تضن بعفافها وثوب طهارتها ولا تزال كذلك الى الآن

فاستفهمت منهُ عن اشخاص الجوقة والمكان الذي يشخصون فيهِ ثم وعدتهُ بالاهتمام بقضيتهِ فذهب شاكرًا . اما انا فعدت الى عملي وما صدقت ان جآء المسآء فقصدت الملعب الذي يجري فيهِ التشخيص وابتعت تذكرةً فدخلت وكانت عيناي تتفرَّسان في المشخصين وانا ابحث لعلي اهتدي الى تلك الفتاة ثم رأيت ليونار وهو الرجل الذي اعلمني عنها فاشرت اليهِ ان يقترب مني ففعل وسألتهُ ان يدلني على ربيتهِ ولما ارتفع الستار بانت ورآءهُ صورة ملائكية ادهشني جمالها واومأ اليَّ ليونار انها هي الاميرة فزاد خفقان قلبي واذ ذاك ابتدأت في غنآء بعض الادوار بصوتٍ رخيم سحر جميع الحاضرين فصرنا كلنا كاشباح لاحراك بها

واشتغلت افكاري بامر الاميرة من ذلك اليوم فجعلت اتردد الى ذلك المحلّ واجتهدت في كشف ما يمكنني كشفهُ من احوالها فوجدتها كما ابلغني ليونار آيةً في الغنج والدلال ولكنها باقية محافظة على ثوب عفافها فلم تدنسهُ شائبة . ورأيت شبان الفرنسيس يتخاصمون في سبيل رضاها ويتبارون في تقديم كنوزهم لديها ورأيت بينهم الامير جواني وهو بالضرورة لا يعرفها ولا تعرفهُ فكان يتفانى في التقرب اليها وانفاق المبالغ الطائلة

في تقديم الهدايا الثمينة اليها واستجلاب رضاها

اما انا فكان من همي ان اسعى في اعادة هذه المسكينة الى مقامها السامي وعزّ اسرتها . و بعد ان اعددت ما يجب صنعهُ قصدت يوماً الملعب وانتظرت فيهِ الى انتهآء التشخيص ثم طلبت الدخول الى غرفة الاميرة وهي تعرف باسم لوسيل كما دعاها مربيها فاذن لي ان ادخل بعد ان يخرج الزائر الموجود عندها حالاً . فانتظرت امام باب غرفتها وانا متيقن ان زيارتي ستسبب لها اعظم السرور ومتفكر فيما عساها ان تقولهُ بعد ان تسمع حديثي وتحقق مركزها . و بعد ما لبثت حيناً في الانتظار دفعني الشوق ان اقترب من غرفتها فسمعتها تتكلم بصوت الآمر المغتاظ وتقول انني ارفع من ان اسمع مثل هذا الكلام فاخرج من غرفتي في الحال . ثم سمعت صوت رجلٍ يقول لن احرج ما لم تجيبيني الى طلبي و بذلك تصبحين اعظم اميرة في فرنسا . قالت انني لا ابيع بكل فرنسا وما فيها ذرة واحدة من شرفي . قال اذاً استدفعيني الى استعمال القوة لانني اخبرتكِ بما اجمعت عليهِ وتيقني انني لا اعود عن عزمي ما حييت . ومرَّ في تلك الدقيقة قيّم الملعب فاشرت اليهِ بالصمت وان يقترب معي لسماع ما يجري داخل الغرفة ففعل . ثم سمعنا صوت الفتاة تقول ارفع يدك عني يا هذا والا صحت باعلى صوتي مستغيثةً . فقهقه ضاحكاً وقال تستغيثين بمن وهل تظنين ان احدًا هنا يقوى علىَّ معارضة اوامري فاعطيني جوابك النهائي عما عرضتهُ عليكِ . قالت الموت اهون من اجابة طلبك فاخرج عني ايها الخبيث والاّ قتلت نفسي . قال انني اكفيكِ هذا العنآء لانني صممت على قتلكِ ان لم تذعني لي فان موتكِ خير لديَّ من خسارتي اياكِ وقد احضرت هذا الخنجر معي لهذه الغاية . ثم تبع ذلك صوت عراكٍ مستطيل وقبل ان اتمكن من مخاطبة القيم لفتح الباب والدخول لانقاذ الفتاة سمعناها تصيح قائلةً دونك ايها النذل . . ودونك . . ودونك . . .

فلم املك نفسي بعد ذلك ان دفعت الباب برجلي فانكسر زلاجهُ وفتح فرأينا امامنا الامير جواني لونفيل مطروحاً على الارض يتدفق الدم من ثلاثة جروحٍ كبيرة في صدرهِ والى ناحية اخرى الاميرة وقد سقطت مغمىً عليها وقد انحلَّ شعرها

الاسود و بان على عنقها علامات زرقآء حيث كان الامير قابضاً عليها . وكان الامير لم تزل فيهِ بقية من الحياة فلما وقع نظرهُ عليَّ قال بصوت ضعيف تقطعهُ حشرجة الموت قد رأيت يا هذا قاتلتي فخذ بتاري منها . فاقتربت منهُ وقلت بل هي قداخذت بثارها من ابن عمها الخائن الذي عمل على اهلاكها للتمتع بثروتها . فحظت عيناهُ وقال ماذا تقول افهي هذه . . . قلت نعم هي الاميرة ارنستين لونفيل وقد اوصلها الى هذه الحالة باعمالك السيئة . فحاول ان ينهض فلم يقدر فصرّ باسنانهِ وقال لعنك الله يا ليونار . لعن الله . . . ولم يستطع ان يتمّ كلامهُ فسقط الى جانبٍ وفاضت روحهُ

ولما افاقت الاميرة اصابتها حمى شديدة من جرّآء ما حصل لها ولما تعافت اخبرتها بحقيقة امرها ثم بذلت جهدي في المدافعة عنها ولم اتمتع براحةٍ لجسدي حتى برهنت للحكومة حقيقة الامر واستعنت بشهادات قيم الملعب وليونار وخادم الامير فبرأت الحكومة ساحة الاميرة واعادت اليها كرامتها وثروتها . وتوسطت لدى ارباب الامر والنهي في قضية ليونار فصفحت الحكومة عنهُ والقت القبض على رفاقهِ فانالتهم ما يستحقونهُ وذهب هو الى قريةٍ بعيدة عن باريس يصرف فيها باقي ايامهِ

اما الاميرة ارنستين فكانت لا تجد سرورًا ولا سلوةً الا بصحبتي فكانت تستدعيني لتناول الطعام على مائدتها يوميًّا واعترفت لي اخيرًا بحبها فتوسلت اليها ان تقلع عن ذلك لانني لست من اصحاب الرتب وليست اسرتي من الأسر الغنية كما ذكرت اولاً وانني مع خمول اسم اسرتي لا أحب أن أتركهُ للتمتع باسم اسرتها . فقالت ولا أنا ممن يحافظون بعد الآن على اسم أسرةٍ كان جواني الخائن أحد افرادها . ولم تفتأ أرنستين تلحّ عليَّ ولها في صدري من الحب العظيم ما ساعدها على بلوغ أربها فغلبتني ولم تمضِ علينا ايام كثيرة حتى تزوجت بها وأصبحت كما هي الآن عضدي في العمل وسعادتي في الحياة وهي جالسة الآن بجانبي تساعد ذاكرتي على تدوين أهم ما جرى لنا في حياتنا